

مجمع الأمثال

3542 - لَا فِي وَلَا فِي الذِّفِيرِ .

قَالَ المفضل : أولُ من قَالَ ذلك أبو سفيان بن حَرْبٍ وذلك أنه أَقْبَلَ بعِير قريش وكان رسول الله ﷺ قد تَحَسَّيْنِ انصرافها من الشام فَتَدَبَّ المسلمون للخروج معه وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً فَقَالَ لمجدي بن عمرو : هل أَحْسَسْتَ من أحدٍ من أصحاب محمد ؟ فَقَالَ : ما رأيت من أحد [ص 222] أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكانَ وأشار له إلى مكان عديٍّ وبسبب عَيْدِي رسول الله ﷺ فأخذ أبو سفيان أَبْعَاراً من أبعاد بعيريهما ففتتَّها فإذا فيها نوى فَقَالَ : علائفُ يَثْرِبُ هذه عيون محمد ف ضرب وجهه عَيْرَهُ فَسَاحَلَ بها وترك بَدْرًا يساراً وقد كان بَعَثَ إلى قريش حين فَصَلَ من الشام يخبرهم بما يخافه من النبي ﷺ فأقبلت قريش من مكة فأرسل إليهم سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فأبَتَ قريش أن تَرْجِعَ وَرَجَعَتُ بنو زهرة من ثنِيَّةٍ أَجَدَى عدلوا إلى الساحل مُنْصَرِفِينَ إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فَقَالَ : يا بني زهرة لا في العير ولا في الذفير قَالُوا : أنت أرسلتَ إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر فواقعهم رسول الله ﷺ فأظفره ﷺ تعالى بهم ولم يشهد بدراً من المشركين من بنى زهرة أحد .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يضرب هذا للرجل يحطُّ أمره ويصغر قدره .

وروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فَقَالَ : يا أخى لقد هممت اليوم أن أفتيك بالوليد ابن عبد الملك فَقَالَ له : والله بنسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فَقَالَ : إن خيلى مَرَّتْ به فتبعث بها وأصغرها وأصغرنى فَقَالَ خالد : أنا أكفركَ فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده فَقَالَ : يا أمير المؤمنين إن الوليد مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية فتبعث بها وأصغره وعبدُ الملك مُطَرِّقُ فرفع رأسه وقال : إن المُلُوكَ إذا دخلوا قريةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعَزَّهَ أَهْلَهَا أَذْلَّهَ إلى آخر الآية فَقَالَ خالد : وإذا أَرَدْنَا أن نُهْلِكَ قريةً أمرنا مُتَرَفِّعِيهَا إلى آخر الآية فَقَالَ عبد الملك : أفى عبد الله تكلمى ؟ والله لقد دَخَلَ عَلَيَّ فما أقام لسانه لحنا فَقَالَ خالد : أَفَعَلَى الوليدِ تعول ؟ فَقَالَ عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا فَقَالَ خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد لا فَقَالَ له الوليد : اسكُتْ يا خالدُ فوالله ما تعدُّ في العير ولا في الذفير فَقَالَ خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فَقَالَ : وَيْحَكَ مَنْ في العير

والنفير غيري ؟ جَدَّيْ أَبُو سَفِيَّانُ صَاحِبُ الْعِيرِ وَجَدِي عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبُ الذِّفْرِيِّ وَلَكِنْ
لَوْ قُلْتُ " غُنْدَيْمَاتُ وَجُيَيْلَاتُ وَالطَّائِفُ وَرَحِمَ اللَّهُ عَثْمَانَ " قُلْنَا : صَدَقْتَ عِنْدِي بِذَلِكَ طَرْدَ
رَسُولِ أَلْحَكَمَ إِلَى الطَّائِفِ إِلَى مَكَانٍ [ص 223] يَدْعَى غَنِيمَاتٍ وَكَانَ يَأْوِي إِلَى حُيْلَةٍ وَهِيَ
الكَرْمَةُ وَقَوْلُهُ " رَحِمَ اللَّهُ عَثْمَانَ " لَرَدِّهِ إِيَّاهُ